فقه الزحام في المناسك

عادل رشاد غنيم
جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل

ملخص البحث:

تناولت هذه الورقة مشكلة الزحام في المناسك بقصد تخفيف المعاناة وتقليل المخاطر وتوفير الروحانية للحجيج .

١- فقه التيسير في النسك لدواعي الزحام :

من التيسير أن أعمال الحج ليست كلها على درجة تكليفية واحدة فمنها الركن ، ومنها الواجب ومنها المستحب ، كذلك تتعدد خيارات النسك (الإفراد والقران والتمتع) ، وهناك أحوال لتوسيع الوقت أو تقديم بعض الأعمال على بعض أو التوقف المؤقت ، والترخص للضعفة والمسنين والنساء في الدفع و الإنابة. وسعة الفتوى المتعلقة ببعض مناسك الحج ، والمراعية لحال المستفتي ومستجدات العصر في ضوء روح الشريعة ، يقلل من أزمات الزحام في الحج .

٢- فقه أحكام توسعة المشاعر :

البعد المعماري يتمثل في توسعة أماكن المشاعر المقدسة وبخاصة المسجد الحرام ومنى ومزدلفة حيث يضيق الحيز الجغرافي مما يسبب الزحام الشديد ، وللتغلب على تلك المشكلة تبنت حكومة خادم الحرمين الشريفين عدة مشاريع هندسية عملاقة لتطوير المنطقة وتسهيل أداء المناسك ، وقد روعي أن تكون هذه التوسعة لا تخالف أمرًا شرعيًا ، أما الاختلافات الفقهية فينظر إلى أقواها مع ترجيح الإمام.

٣- فقه سلوكيات الزحام :

يظل البعد الثالث في معالجة مشكلة الزحام ذا أهمية بالغة وهو ما يتعلق بالسلوك البشري في الزحام ، وأكثر كوارث الزحام ناتجة عن هذه البعد ويشمل ذلك :

-إدارة الحشود عامل مهم وقائيًا وعلاجيًا ، فتأمين الحشود في الزحام يعتمد على مبادئ ا=أساسية منها : تقدير الموقف وحساب الأعداد المتوقعة وأماكن استقبالها .

- التأكيد على التوعية الإعلامية في موسم الحج لفترة ما قبل موسم الحج وما يتخللها من اجتماعات وورش عمل لاختيار الشعارات الهادفة والقنوات المؤثرة في سبيل الوصول لهدف المرحلة الأولى من خلال نشر العبارات التوعوية بمختلف اللغات المتضمنة إيصال الرسالة للمتلقي في فقه المناسك ومضمون الأنظمة والتعليمات.

-سلوك الحجيج الذي يراعي الترفق و الاستماع دومًا للنصائح والإرشادات الموجهة من قبل رجال الأمن والمطوفين لدى الحملة وعدم إهمالها بأي حال من الأحوال والتريث وعدم الاستعجال في أداء المناسك. .

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد:

فيفد أكثر من مليوني مسلم لموسم الحج من كل فج عميق ، كما تفد الملايين لأداء نسك العمرة على مدار العام، وخصوصًا في رمضان، حيث تصل أعدادهم إلى ثلاثة ملايين معتمر.

وهذا الإقبال على بيت الله الحرام أثر من دعاء إبراهيم عليه السلام : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ (سورة إبراهيم : ٣٧)) .

لكن وجود هذه الأعداد الضخمة من مختلفي الثقافات واللغات في منطقة جغرافية محددة وتحركهم في أوقات محددة ينتج عنه زحام شديد في المشاعر المقدسة ، ويعد من أخطر المشاكل التي تقع في الحج ، وكان سببًا في عدد من الكوارث التي راح ضحيتها مئات الحجاج.

هذا على الرغم مما تبذله حكومة خادم الحرمين الشريفين من جهود هائلة في تهيئة الأماكن والمشاعر المقدسة لتستوعب أعدادًا كبيرة ومتزايدة، وإدارة الحشود وفق أحدث الأنظمة .

تدرس هذه الورقة مشكلة الزحام انطلاقًا من فقه الإسلام بمعناه الشامل تعبديًا ومعماريًا وسلوكيًا ، بقصد تخفيف المعاناة وتقليل المخاطر وتوفير الروحانية للحجيج .

وهناك دراسات للزحام في الحج منها ، دراسة للدكتور خالد بن عبد الله المصلح في كتابه (الزحام وأثره في أحكام النسك)، تناول فيها البعد الفقهي للمناسك في الزحام ، وأحببت أن أتناول المشكلة من منظور أوسع، فمشكلة الزحام متعددة الأبعاد ، ولذلك ينبغي ألا تقتصر معالجتها على بعد واحد فقط ، وقد تناولت الورقة أبعادا ثلاثة توفر حلولًا لمشكلة الزحام ، وهي على الوجه التالي :

١. تيسير المناسك . (بعد شرعي)
٢. توسعة المشاعر . (بعد معماري)
٣. أخلاقيات الزحام .(بعد سلوكي)

وقد روعي في الورقة الإيجاز قدر المستطاع ، وفيها إحالات للدراسات المطولة التي تناولت هذه المشكلة في جانب أو أكثر من جوانبها .والله أسأل أن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا ، وعلى الله قصد السبيل .

تمهيد : مفهوم الزحام في المناسك:

الزحام Crowding في اللغة :

يراد به التضايق ، جاء في لسان العرب: "وزحم القوم بعضهم بعضًا يزحمونهم زحمًا وزحامًا ضايقوهم"[١] ، و الزحام: هو تدافع الناس في مكان ضيق[٢].

والطريف أن مكة سميت ببكة لتضايق الناس فيها بالزحام[٣]، قال ابن سيدة:"بك الرجل صاحبه يبكه بكاً: زحمه، وتباك القوم: تزاحموا"[٤].

و الزحام في مناسك الحج والعمرة ناتج عن الحشود الضخمة التي تفد إلى مكة نتيجة شغف المسلمين في العالم لأداء مناسك الحج والعمرة ، مما قد يتسبب في إحداث كثير من نقاط الاختناق وعدم انسيابية حركة الحجيج والمعتمرين لاسيما في أوقات الذروة .

والمناسك لغة :جمع مَنْسِك - بفتح السين وكسرها - من نَسَكَ يَنْسُكُ منسكاً: تعبَّد، ويقع على المصدر، والزمان، والمكان، ثم سُمِّيَتْ أمور الحجِ كلّها مناسك. فهي تدل على عبادة وتقرب إلى الله تعالى[٥]. والمقصود بالمناسك في هذه الورقة أعمال الحج وأماكنها .

---

(١) لسان العرب ، (٢٦٢/١٢).

(٢) المصباح المنير، مادة (زحم)، ص: (١٣٢)، المعجم الوسيط، مادة (زحم)، ص: (٣٩٠).

(٣) معجم ما استعجم (٢٦٩/١)، القاموس المحيط، مادة (زحم)، ص: (١٤٤٢).

(٤) المخصص (٩٩/١٢/٣).

(٥) معجم مقاييس اللغة، (زحم)، ص: (١٠٢٤).

وهذه إحصائية بيانية عن أعداد الحجاج الرسميين خلال عشر سنوات : [1]

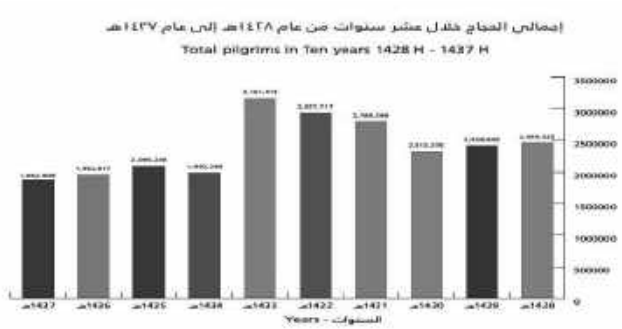

المبحث الأول : فقه التيسير في النسك لدواعي الزحام:

من خصائص دين الإسلام اليسر في التكليف ، وجميع الواجبات الشرعية منوطة بالاستطاعة كما قال الله تعالى:﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ سورة التغابن، من الآية:١٦، وقال النبيﷺ فيما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة:((إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم)) [2]، وجاء نفي الحرج عن دين الله في سورة الحج ، في قوله تعالى:﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الحج: من الآية: ٧٨ .

ومن التيسير أن أعمال الحج ليست كلها على درجة تكليفية واحدة فمنها الركن ، ومنها الواجب ومنها المستحب ، كذلك تتعدد خيارات النسك (الإفراد والقران والتمتع) ، وهناك أحوال لتوسيع الوقت أو تقديم بعض الأعمال على بعض أو التوقف المؤقت ، والترخص للضعفة والمسنين والنساء في الدفع و الإنابة ، وهذا بيان بعض التفاصيل في المطالب التالية :

المطلب الأول : أحكام الزحام في الطواف :

أ- اتساع الوقت في أداء طواف الركن : من تيسير الشريعة في الطواف أنه اتساع وقته فهو يستحب فعله يوم النحر وأول النهار ولم يرد نص على نهاية وقت طواف الإفاضة فمتى فعله الإنسان أجزأه [3] ، والأولى أن يبادر الحاج بالطواف للإفاضة قدر استطاعته.

ب- جواز قطع الطواف للاستراحة أو كان دفعًا للمضرة الحاصلة بالزحام أو كان لتكميل الطواف في الدور العلوي بشرط ألا يطول الفصل [4]،يقول الشافعي رحمه الله:"أو يصيبه زحام فيقف لا يكون ذلك قطعًا "[5].

ج- صلاة الركعتين بعد الطواف تشرع في أي موضع يتيسر إذا كان تحري الصلاة عند المقام يفضي إلى زحمة أو إلى التضيق على الطائفين[6].

د- ترك طواف الوداع لمن عجز ، خشية التضرر بالزحام إما لمرض أو كبر أو صغر أو خشية فوات رحلة أو ذهاب رفقة أو خوف ضياع ونحو ذلك من الأعذار، ولم يتمكن من انتظار زوال الزحام، فإنه لاحرج عليه في ترك طواف الوداع، ولا يجب عليه شيء لذلك [7].

المطلب الثاني: أحكام الزحام في السعي:

---

(١) إحصاءات الحج ، ١٠

(٢) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الإقتداء بسنن رسول الله، رقم (٧٢٨٨)، ومسلم، كتاب الحج، باب فرض الحج في العمر مرة، رقم (١٣٣٧).

(٣) بدائع الصنائع ١٣٢/٢

(٤) المغني (٢٤٨/٥)

(٥) الأم (١٩٥/٢).

(٦) رد المحتار (٥٢٨/٢)

(٧) الزحام وأثره في أحكام النسك (الحج والعمرة) ، ٢٥

١- تقديم السعي على الطواف: وقد جاء الإذن بتقديم السعي على الطواف فيما رواه أبو داود عن أسامة بن شريك قال: خرجت مع النبي ﷺحاجًّا، فكان الناس يأتونه، فمن قال: يا رسول الله سعيت قبل أن أطوف أو قدمت شيئًا أو أخرت شيئاً، فكان يقول: لا حرج لا حرج[١].

٢-قطع السعي ، للزحام الذي يلحق المكلف فيه ضيق ومشقة عذر لا يفوت الموالاة، سواء كان قطع السعي لاستراحة أو كان دفعاً للمضرة الحاصلة بالزحام أو كان لتكميل السعي في الدور العلوي أو السطح بعيداً عن شدة الزحام، وكذلك في البناء على ما تقدم من سعي قبل قطعه ، [٢] قال الشيخ محمد العثيمين رحمه الله:" لو فرض أن الإنسان اشتد عليه الزحام فخرج ليتنفس أو احتاج إلى بول أو غائط فخرج يقضي حاجته ثم رجع،فهنا نقول لا حرج لعموم قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الحج من الآية٧٨"[٣].

المطلب الثالث : أحكام الزحام في يوم عرفة:

تعد عرفة أكبر ساحات المشاعر اتساعًا ، ولذلك تقل مشكلات الزحام فيه ، كما أنه يصح الوقوف في أي موضع من عرفة إلا بطن عُرَنَة ، فلا وجوب للتزاحم في مكان بعينه ، ولذلك قال النبي ﷺ ((وقفت ها هنا وعرفة كلها موقف)) [٤] ، وتظهر بوادر التزاحم في أوقات الذهاب إلى عرفة والانصراف منه ، ولذلك تحدث بعض الفقهاء عما ييسر الأمر عند خوف الزحام ، كما يلي :

١- ترك التوجه إلى منى يوم التروية والمبيت بها ليلة عرفة خشية الزحام أو الضياع أو فوات الرفقة فإن ذلك جائز لا حرج فيه، قال الهيتمي رحمه الله: "وما حدث الآن من مبيت أكثر الناس هذه الليلة بعرفة بدعة قبيحة اللهم إلا من يخاف زحمة"[٥].

٢- الانصراف من عرفة : لا خلاف بين أهل العلم أن السنة لمن وقف بعرفة أنه لا ينصرف إلا بعد غروب الشمس ، فقد أجمع العلماء أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم -دفع من عرفة بالناس بعدما غربت الشمس يوم عرفة))[٦]. لكن ذكر بعض فقهاء الحنفية والمالكية جواز التقدم قبل الإمام يوم عرفة خشية الزحام؛ لكنهم اشترطوا للجواز ألا يجاوز عرفة بالخروج.[٧].

المطلب الرابع : أحكام الزحام في ليلة مزدلفة:

١- تقديم الضعفة من مزدلفة إلى منى قبل الفجر، اتفق أهل العلم على جواز ذلك [٨] : لما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((نزلنا المزدلفة فاستأذنت النبي ﷺ سودة أن تدفع قبل حطمة الناس، وكانت امرأة بطيئة، فأذن لها فدفعت قبل حطمة الناس، وأقمنا حتى أصبحنا نحن ثم دفعنا بدفعه، فلأن أكون استأذنت رسول الله ﷺ كما استأذنت سودة أحب إلي من مفروح به[٩]، بل أجاز الشيخ ابن باز -رحمه الله- دفع غير الضعفة من مزدلفة قبل الفجر، وقال في تعليل التسهيل: "لأن الزحام وكثرة الناس تعطي قوة الرخصة"[١٠].

---

(١) سنن ابي داود ،كتاب المناسك، باب فيمن قدم شيئاً قبل شيء في حجه، رقم:(٢٠٥١).

(٢) الزحام وأثره في أحكام النسك (الحج والعمرة) ، ٣٥

(٣) الشرح الممتع (٢٧٦/٧).

(٤) صحيح مسلم (٢/ ٨٩٣)

(٥) تحفة المحتاج (١٠٥/٤).

(٦) التمهيد (٢٦٩/٩).

(٧) فتح القدير (٤٧٧/٢).

(٨) المجموع شرح المهذب (١٥٣/٨).

(٩) البخاري،كتاب الحج، باب من قدم ضعفة أهله بليل يقفون بالمزدلفة، رقم: (١٦٨١) ،
ومسلم، كتاب الحج، باب استحباب تقديم دفع الضعفة من النساء وغيرهن،رقم: (١٢٩٠).

(١٠) كتاب الحج من شرح بلوغ المرام للعلامة ابن باز رحمه الله ، ٧٦

٢-ترك الوقوف بمزدلفة خوف الزحام : نص جماعة من فقهاء الحنفية على أن الزحام عذر في ترك الوقوف بالمزدلفة، قال ابن نجيم في البحر الرائق:" إن واجب الحج إذا تركه بعذر لا شيء عليه حتى لو ترك الوقوف بالمزدلفة خوف الزحام لا شيء عليه كما لا شيء على الحائض بترك طواف الصدر"[١].وأوجب الحنابلة الدم على من طلع عليه الفجر، ولم يأت المزدلفة سواء كان بعذر أو بغير عذر [٢] .

المطلب الخامس : أحكام الزحام في رمي الجمار:

وتعد منطقة منى وجمراتها من أكثر المناطق ازدحامًا، ومن وجوه التيسير ما يلي:

١- جواز تقديم بعض الأعمال على بعض[٣]؛ ودليله ما في الصحيحين[٤]عن عبد الله بن عمرو قال:((رأيت النبي ﷺ عند الجمرة، وهو يسأل، فقال رجل: يا رسول الله نحرت قبل أن أرمي. قال: ارم ولا حرج. قال آخر: يا رسول الله حلقت قبل أن أنحر. قال: انحر ولا حرج، فما سئل عن شيء قدم ولا أخر إلا قال: افعل ولا حرج)). فدل هذا الحديث على جواز التخيير في ترتيب هذه الأعمال دفعًا للمشقة ومنها ضرر الزحام.

٢-أول وقت رمي جمرة العقبة هو من وقت جواز الدفع من مزدلفة، وشاهده ما رواه الشيخان عن سالم بن عبد الله: ((أن عبد الله بن عمر كان يقدم ضعفة أهله، فيقفون عند المشعر الحرام بالمزدلفة بالليل، فيذكرون الله ما بدا لهم ثم يدفعون قبل أن يقف الإمام، وقبل أن يدفع، فمنهم من يقدم منى لصلاة الفجر، ومنهم من يقدم بعد ذلك. فإذا قدموا رموا الجمرة، وكان ابن عمر يقول: أرخص في أولئك رسول الله ﷺ)) [٥].

٣- رمى الجمار أيام التشريق فلا خلاف بين أهل العلم في أن النبي ﷺ إنما رمى بعد الزوال ،و أما جواز الرمي في أيام التشريق قبل زوال الشمس فقد اختلف فيه أهل العلم ، و القول بجواز الرمي قبل الزوال قول قوي ، فلا يخلو عام من الأعوام تقريبًا من وقوع وفيات وإصابات بسبب هذا الاكتظاظ والتزاحم عند رمي الجمار يوم الثاني عشر من ذي الحجة. و حفظ النفس من مقاصد الشريعة وكلياتها، فهي أولى بالاعتبار.[٦]

٤-الإنابة في الرمي والأصل في النيابة في الرمي ما رواه أحمد من حديث جابر قال: ((حججنا مع رسول الله ﷺ ومعنا النساء والصبيان فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم)) [٧] ،ولا ريب أن الرمي في هذا الزمان من أشق المناسك وأشدها خطرًا وذلك لشدة الزحام ومخاطره وتكشف النساء بسبب التدافع عند رمي الجمرات سواء يوم النحر أو يوم النفر الأول [٨]، وأفتت اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية بجواز أن توكل المرأة في الرمي؛ لأجل الزحام [٩].

٥-المبيت بمنى ليالي التشريق ، مع أن جمهور العلماء قالوا بوجوب المبيت بمنى ليالي التشريق. إلا أن الأحناف ذهبوا إلى أن المبيت سنة [١٠]، وهو قول عند الشافعية، ورواية عن أحمد[١١]. ومن التيسير أن النبي ﷺ أرخص للرعاة في البيتوتة عن منى[١].فإذا ضاقت منى عن

---

(١) البحر الرائق (٦٠/٣).

(٢)ينظر :كشف القناع (٤٩٧/٢).

(٣) المحلى (١١٤/٥-١١٣)

(٤) رواه البخاري، كتاب الحج، باب الفتيا على الدابة عند الجمرة، رقم (١٧٣٦)، ومسلم، كتاب الحج، باب من حلق قبل النحر أو نحر قبل الرمي، رقم (١٣٠٦).

(٥) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب من قدم ضعفة أهله بليل فيقفون بالمزدلفة، رقم (١٦٧٦)، ومسلم، كتاب الحج، باب استحباب تقديم دفع الضعفة من النساء وغيرهن، رقم (١٢٩٥).

(٦) الزحام وأثره في أحكام النسك (الحج والعمرة)،٦٧

(٧) ابن ماجه، كتاب المناسك، باب الرمي عن الصبيان، رقم (٣٠٣٨).

(٨) الزحام وأثره في أحكام النسك (الحج والعمرة)، ٦٧

(٩) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية (٢٨٥/١١-٢٨٤).

(١٠) تبيين الحقائق (٣٤/٢). ،

(١١) الإنصاف (٦٠/٦).

الحجاج أو لم يجدوا مكاناً يصلح للنزول فيها غير الطرقات أو الأرصفة أو المرافق فإنه يسقط عنهم وجوب المبيت، ولهم أن ينزلوا حيث تيسر لهم.

المبحث الثاني: فقه أحكام توسعة المشاعر:

البعد المعماري يتمثل في توسعة أماكن المشاعر المقدسة وبخاصة المسجد الحرام ومنى ومزدلفة حيث يضيق الحيز الجغرافي مما يسبب الزحام الشديد ، وللتغلب على تلك المشكلة تبنت حكومة خادم الحرمين الشريفين عدة مشاريع هندسية عملاقة لتطوير المنطقة وتسهيل أداء المناسك .

وقد عملت المملكة العربية السعودية على تطوير وتوسيع الحرم لمضاعفة الطاقة الاستيعابية للحجاج كل عام، حيث زادت سعة المطاف ٢٠ ضعفًا خلال السنوات العشر الماضية، من قرابة ١٠٠ ألف حاج إلى أكثر من مليوني حاج سنويًّا، وتم مضاعفة مساحة الحرم المكي ١٢ ضعفًا، من ٢٨ ألف متر مربع إلى ٣٥٦ ألف متر مربع، وستصل إلى ٧٥٠ ألف متر مربع بعد اكتمال التوسعة الحالية؛ أي ٢٦ ضعفًا.

وتتيح التوسعة لنحو ٤ ملايين معتمر وزائر لبيت الله الحرام فرصة السعي على مدار اليوم ، ويتوقع أن ترتفع الطاقة الاستيعابية حال إنجاز كافة مراحل المشروع لتصبح قادرة على استيعاب ١١٨ألف شخص لكل ساعة للسعى ،و١١٥ألفًا و٦٠٠مصل وهو الأمر الذي أسهمت فيه زيادة الرقعة المساحية للمسعى ، فمساحة المسعى قبل التوسعة كانت تقدر ٢٩ألفاً و٤٠٠متراً مربعاً [٢]، كما شملت التوسعة إنشاء شبكة طرق حديثة مخصصة لمركبات النقل منفصلة تمامًا عن ممرات المشاة وأنفاق داخلية مخصصة للمشاة مزودة بسلالم كهربائية تتوفر فيها جميع معايير الأمن والسلامة وسط منظومة متكاملة من الخدمات التي تساعد على سهولة الحركة والانتقال من وإلى الساحات الشمالية والغربية بعيدًا عن الحركة المرورية ، بما يوفر مصليات جديدة واسعة .

والذي يعنينا هنا آراء الفقهاء في الحكم الشرعي لهذه التوسعة في المطالب التالية:

المطلب الأول: أحكام التوسعة في المطاف :

اتفق العلماء في أن من طاف بالبيت، وهو داخل المسجد سواء قرب من الكعبة أو تباعد، وسواء كان بينه وبين البيت حائل أو لا، صح طوافه ، قال ابن حزم رحمه الله:" ولا خلاف بين أحد من الأمة في أنه لو زيد في المسجد أبدًا حتى يعم به جميع الحرم يسعى مسجدًا حرامًا"[٣].

وقد نص الفقهاء على أنه إذا اتسع المطاف صح الطواف في جميعه، قال النووي رحمه الله:"لو وسع المسجد اتسع المطاف"[٤]. ويمكن أن يستدل على ذلك بما ما رواه البخاري ومسلم عن أم سلمة قالت: شكوت إلى رسول الله ﷺ أني أشتكي. قال: طوفي من وراء الناس، وأنت راكبة فطفت، ورسول الله ﷺ يصلي إلى جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور[٥]. فأمر النبي ﷺ أم سلمة أن تطوف من وراء الناس يدل على جواز البعد عن البيت في الطواف للحاجة.

المطلب الثاني : أحكام التوسعة في المسعى :

اختلف أهل العلم في حكم توسعة المسعى وأصل الخلاف في هذه المسألة عائد إلى مدى التقيد في حدود السعى بين الصفا والمروة بعرضها .والبحث يؤيد الرأي القائل بأن واجبات السعي استيفاء المسافة بين جبلي الصفا والمروة، ذلك أن مناط الحكم في استيفاء

---

(١) الاستذكار (٤/٣٤٤-٣٤٣).

(٢) توسعة المسعى عزيمة لا رخصة ، ٧٠

(٣) المحلى (٧/ ١٤٨).

(٤) روضة الطالبين (٣/٨١).

(٥) البخاري، كتاب الصلاة، باب إدخال البعير في المسجد للعلة، رقم:(٤٦٤) ، ومسلم ، كتاب الحج، باب جواز الطواف على بعير وغيره واستلام الحجر، رقم:(١٢٧٦).

المسافة الطولية هو أداء شعيرة السعي بين جبلي الصفا والمروة بصرف النظر عن السعة العرضية مادام يصدق على الساعي أنه أدى شعيرة السعي بين الجبلين المذكورين، وفي حدودهما، فالأساس في أداء شعيرة السعي هو نقطة البداية لما يطلق عليه جبل الصفا، ونقطة النهاية فيها هو ما يطلق عليه جبل المروة.

وأكدت الدراسات التاريخية والجغرافية والجيولوجية التي قامت بها اللجان المشرفة على توسعة المسعى أن هناك امتدادًا سطحيًّا لجبل المروة بما لا يقل يقينًا عن ٢٥ متراً من الناحية الشرقية، وهذا ما ثبت بعد دراسة عينات الصخور التي أخذت من الناحية الشرقية لجبل المروة والتي ظهرت مشابهتها لصخور المروة"[١].

المطلب الثالث : أحكام التوسعة في موضع الرمي:

بعد تكرر الحوادث عند الجمرات وكثرة الوفيات والإصابات والتضرر بالزحام عندها جرى توسيع أحواض الجمرات عام (١٤٢٥هـ) فتحول الحوض الذي كان دائريا إلى ما يقرب من الشكل البيضاوي، مع المحافظة على أن تقع الجمار في مكان الرمي المعهود وهو مجتمع الحصى.

والحكم في توسيع أحواض الرمي يمكن تخريجه على ما ذكره فقهاء المذهب من أن من رمى إلى موضع الرمي فأصاب شيئاً قبله ،ثم وقعت في مكان الرمي أجزأه ذلك، وقد صرح بذلك فقهاء المذاهب الأربعة. وغاية ما في الرمي في التوسعة الجديدة للأحواض لا يخرج عما ذكره أولئك الفقهاء. فالذي يظهر أنه جائز مجزئ لاسيما مع هذه الأعداد الكثيرة والزحام الشديد [٢].

وخلاصة الأمر أن هذه التوسعات لا تخالف أمرًا شرعيًّا ، أما الاختلافات الفقهية فينظر إلى أقواها مع ترجيح الإمام.

إن الشرع الحكيم هو الأساس الذي يحتكم إليه الحجاج في أداء مناسك الحج ، فإذا كان هناك سعة في الفتوى المتعلقة ببعض مناسك الحج ، والمراعية لحال المستفتي ومستجدات العصر في ضوء روح الشريعة ، فإن ذلك سوف يقلل من أزمات الزحام في الحج .

المبحث الثالث : فقه سلوكيات الزحام:

يظل البعد الثالث في معالجة مشكلة الزحام ذا أهمية بالغة وهو ما يتعلق بالسلوك البشري في الزحام، وأكثر كوارث الزحام ناتجة عن هذه البعد، ونتناول هذا الجانب في المطالب التالية:

المطلب الأول : السلوك الإداري :

١- إدارة الحشود عامل مهم وقائيًّا وعلاجيًّا، فتأمين الحشود في الزحام يعتمد على مبادئ أساسية منها : تقدير الموقف وحساب الأعداد المتوقعة وأماكن استقبالها ، وتحديد الحد المقبول من المخاطرة، مما يستلزم ذلك الإجابة عن تساؤلات تبدأ بمعرفة القدرة الاستيعابية الحقيقية للمساحات المتاحة لاستقبال الحشود ، ثم وضع تقرير ما إذا كان ذلك مقدورًا عليه ومقبولًا حسب الإمكانات المتاحة لمن يتصدى لتنظيم الحدث وتأمينه. [٣]

وبعد حادث التدافع الذي حين لقي فيه قرابة ٧٦٩ حاجًّا مصرعهم ، أقرت وزارة الحج نظامًا جديدًا لمنسك رمي الجمرات ، لتجنب تكرار الأمر، حيث حددت بالتعاون مع مؤسسات الطوافة وشركات حجاج الداخل ١٢ ساعة يحظر فيها خروج الحجاج النظاميين من مخيماتهم لرمي الجمار، مؤكدة أن أقصى عدد للحجاج تتحمله الطرق المؤدية لجسر الجمرات ٣٠٠ ألف حاج كل ساعة.[٤]

٢-وتتطلب إدارة الحشود الرئيسية تنفيذ برامج تأهيلية وتخصصية للضباط والأفراد والموظفين من منسوبي الأمن العام والجهات ذات العلاقة بمجال تنظيم وإدارة الحشود.

---

(١) توسعة المسعى عزيمة لا رخصة ، ٦٣

(٢) ينظر: الزحام وأثره في أحكام النسك (الحج والعمرة)،٧٦

(٣) ثم تدشين معهد إدارة الحشود تعبيرا عن الحاجة الميدانية في التطوير والانتقال نحو المعرفة العالية والاحترافية ،كما جاء في صحيفة الرياض ، الثلاثاء ١٨ جمادى الآخرة ١٤٣٦ هـ - ٧ أبريل ٢٠١٥م - العدد ١٧٠٨٨

(٤) صحيفة مكة المكرمة ، الاثنين ١٩ ذو القعدة ١٤٣٧ - ٢٢ أغسطس ٢٠١٦

٣-تعزيز التنسيق والشراكة بين الجهات ذات العلاقة بإدارة الحشود كالرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي، ومعهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج والعمرة والزيارة، ولجنة الحج المركزية بإمارة منطقة مكة المكرمة، وأمانة العاصمة المقدسة، ومركز المشروعات التطويرية بوزارة الشئون البلدية في المشاعر المقدسة، وممثلي مؤسسات الطوافة، ومديرية الدفاع المدني.

إن أعظم مبدأ يمكن أن يؤسس لعلم إدارة الحشود البشرية نستلهمه من قول النبي- ﷺ -في حجة الوداع، فيما يرويه ابن عباس -رضي الله عنهما- حيث ذكر أَنَّهُ دَفَعَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺيَوْمَ عَرَفَةَ فَسَمِعَ النبيُّ ﷺ وَرَاءهُ زَجْرًا شَديدًا وَضَرْبًا وَصَوْتًا للإِبِلِ، فَأَشَارَ بِسَوْطِهِ إِلَيْهِمْ، وقال: «أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بالسَّكِينَةِ، فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بالإيضَاعِ». [١] ، وَ«الإيضَاعُ» هُوَ: الإِسْرَاعُ ، فالسكينة والتأني من أصول سلامة الحشود.

المطلب الثاني : التوعية الإعلامية:

١- لابد من التأكيد على التوعية الإعلامية في موسم الحج لفترة ما قبل موسم الحج وما يتخللها من اجتماعات وورش عمل لاختيار الشعارات الهادفة والقنوات المؤثرة بمختلف اللغات المتضمنة ايصال الرسالة للمتلقي في فقه المناسك ومضمون الأنظمة والتعليمات، وتنفيذ حملة إعلامية لحجاج الداخل لحثهم على ضرورة الحصول على تصريح حج لمن أراد ذلك والارتباط مع الشركات والمؤسسات الأهلية النظامية ، وترك الاحتيال للدخول لمكة ، والهدف من ذلك ضبط الأعداد وفق القدرة الاستيعابية للأماكن المقدسة .

٢-مضاعفة الجهود الإعلامية أثناء موسم الحج وهي مهمة لتعريف الحاج من الخارج والداخل وفق ما يتوافر لدى تلك الجهات من وسائل إعلانية وبرامج تلفزيونية وإذاعية وإعلانات مقروءة بالميادين العامة والشوارع الرئيسة، وتوزيع والمطبوعات للمستهدفين من الحملة، وإعداد التقارير الإخبارية بنشرات الأخبار الرئيسية واستضافة القراء والمفكرين والتركيز على المواضيع التي تتناسب مع مناسبة الشعائر [٢].

المطلب الثالث : السلوك الاجتماعي :

١-التقيد بالتعليمات التي توجه للحاج فيما يتعلق بأمور السلامة الخاصة بالزحام في الحج حفاظًا على نفسه وغيره ،فالخوف من الموت بسبب الازدحام أمر يستحق التوقف عنده .

فيجب على الحاج الاستماع دومًا للنصائح والإرشادات الموجهة من قبل رجال الأمن والمطوفين لدى الحملة وعدم إهمالها بأي حال من الأحوال والتريث وعدم الاستعجال في أداء المناسك. والاستماع والاستجابة للنداءات الموجهة للحجاج عبر وسائل الإعلام ومبكرات الصوت بكافة اللغات. مع عدم حمل الأطفال وأخذهم إلى مناطق الزحام، وكذلك عدم حمل الأمتعة وأخذ الحقائب في الأيدي أثناء الرمي.

٢- التلطف في أداء المناسك والرفق بالآخرين لاسيما كبار السن ، والنساء ، حتى وإن كان على حساب التخفيف من بعض السنن ، وبعض الحجيج قد يزاحم من أجل عمل مستحب كاستلام الحجر ، لكنه في سبيل ذلك يتسبب في إيذاء للحجيج ، ولذلك قال النبي -ﷺ -لعمر بن الخطاب= رضي الله عنه- : يا عمر إنك رجل قوي، لا تزاحم على الحجر؛ فتؤذي الضعيف، إن وجدت خلوة فاستلمه، وإلا فاستقبله فهلل وكبر)) [٣] . ومن الجميل تدشين فعاليات المرحلة التاسعة للحملة الإعلامية التوعوية بعنوان «الحج عبادة وسلوك حضاري» في موسم الحج الماضي .[٤]

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ٥٢٢)

(٢) صحيفة الرياض ، الجمعة ٧ ذي الحجة ١٤٢٩هـ - ٥ ديسمبر٢٠٠٨م - العدد ١٤٧٧٤

(٣) أخبار مكة ،١/ ١٣٠-١٣١. والحديث في مسند أحمد (١/ ٢٨).

(٤) صحيفة الشرق ١٤/٨/٢٠١٦ - العدد ١٧١٥

فهرس المصادروالمراجع:

١. إحصاءات الحج ، الهيئة العامة للإحصاء ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ١٤٣٧-٢٠١٦

٢. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه. للفاكهي، تحقيق عبدالملك بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، الطبعة الأولى، عام (١٤٠٧هـ).

٣. الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ في معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار، تصنيف الإمام: أبي عمر يوسف بن عبدالبر، تحقيق الدكتور: عبد المعطي أمين قلعجي ، دار الوعي، حلب، القاهرة، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ).

٤. الأم. للإمام: محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق محمد زهري النجار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية (١٣٩٣هـ).

٥. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل. تأليف: علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي، تحقيق الشيخ: محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية، الطبعة الأولى (١٣٧٥هـ).

٦. بدائع كتاب الصنائع في ترتيب الشرائع. أبي بكر بن مسعود الكسائي الحنفي. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ).

٧. البحر الرائق شرح كنز الدقائق. لزين الدين إبراهيم بن محمد بن نجيم، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية.

٨. تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق. لفخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية، الطبعة الأولى (١٣١٤هـ).

٩. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. تأليف الإمام: أبي عمر يوسف بن عبدالبر، تحقيق: محمد الفلاح.

١٠. توسعة المسعى عزيمة لا رخصة ، أ.د. عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٩، ٢٠٠٨م .

١١. حاشية رد المحتار على الدر المختار: شرح تنوير الأبصار. لمحمد أمين الشهير بابن عابدين، دار الفكر، الطبعة الثانية (١٣٨٦هـ).

١٢. حواشي الشرواني وابن قاسم العبادي على تحفة المحتاج بشرح المنهاج. للشيخ: عبد الحميد الشرواني، والشيخ: أحمد بن قاسم العبادي، دار إحياء التراث.

١٣. روضة الطالبين وعمدة المفتين. للإمام شرف الدين يحيي بن زكريا النووي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الثانية (١٤٠٥هـ).

١٤. جريدة الرياض ، الجمعة ٧ ذي الحجة ١٤٢٩هـ - ٥ ديسمبر٢٠٠٨م - العدد ١٤٧٧٤

١٥. الزحام وأثره في أحكام النسك (الحج والعمرة) ، الدكتور خالد بن عبد الله المصلح ، مكتبة دار المناهج – الرياض الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ

١٦. سنن ابن ماجة ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق،محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

١٧. سنن أبي داود. لسليمان بن الأشعث السجستاني، دار ابن حزم، لبنان، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ).

١٨. شرح فتح القدير. للإمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام الحنفي، دار الفكر، الطبعة الثانية.

١٩. الشرح الممتع على زاد المستقنع. شرح الشيخ محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، عام (١٤٢٢هـ).

٢٠. صحيح البخاري. لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، عام (١٤١٧هـ).

٢١. صحيح مسلم. للإمام: أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النسيابوري، بيت الأفكار الدولية، الرياض.

٢٢. صحيفة الشرق ، ١٤/٨/٢٠١٦ - العدد ١٧١٥.
٢٣. صحيفة مكة المكرمة ، الاثنين ١٩ ذو القعدة ١٤٣٧ - ٢٢ أغسطس ٢٠١٦
٢٤. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء. جمع أحمد الدويش، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، عام (١٤١٩هـ).
٢٥. كتاب الحج من شرح بلوغ المرام للعلامة ابن باز رحمه الله ،إعداد، الشيخ ، محمد به عبد الله الهبدان ، على موقعه ، www.alhabdan.islamlight.net
٢٦. كشاف القناع عن متن الإقناع. لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي، عالم الكتب، بيروت.
٢٧. لسان العرب. للإمام أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري. دار صادر، بيروت.
٢٨. المجموع شرح المهذب. لمحيي الدين بن شرف النووي، دار الفكر.
٢٩. المحلّى. لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم، تحقيق: أحمد بن شاكر، دار التراث، القاهرة.
٣٠. المخصص. لأبي الحسن على بن إسماعيل المعروف بابن سيده، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٣١. معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع. لعبد الله البكري، تحقيق مصطفي الزرقا، عالم الكتب، بيروت.
٣٢. معجم المقاييس في اللغة. لأحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ).
٣٣. المغني.لابن قدامة، تحقيق الدكتور: عبدالله بن عبد المحسن التركي، والدكتور: عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ).